

شرح رياض الصالحين

شرح حديث أبي موسى: إن هذه النار عدو لكم

عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: احْتَرَقَ بَيْتٌ بِالْمَدِينَةِ عَلَى أَهْلِهِ مِنَ اللَّيْلِ، فَلَمَّا حَدَّثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشَانِهِمْ قَالَ: «إِنَّ هَذِهِ النَّارَ عَدُوٌّ لَكُمْ، فَإِذَا نِمْتُمْ فَأَطْفِئُوهَا عَنْكُمْ». متفق عليه.

قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ عَثِيمِينَ - رحمه الله - :-

ذكر المؤلف في «باب الحثِّ على اتباع السنَّة وأدابها» هذا الحديث؛ الذي وقع في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، أن قومًا احترق عليهم بيئهم في الليل، فبلغ ذلك النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «إِنَّ هَذِهِ النَّارَ عَدُوٌّ لَكُمْ فَإِذَا نِمْتُمْ فَأَطْفِئُوهَا عَنْكُمْ».

هذه النار التي خلقها الله - عزَّ وجلَّ - وأنشأ شجرها، امتنَّ الله بها على عباده؛ فقال سبحانه وتعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي

تُورُونَ * أَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ ﴿ [الواقعة: 71-72]، والجواب؛ بل أنت يا ربنا الذي أنشأتها: ﴿ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكَرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ ﴾ [الواقعة: 73] تذكرة يتذكر بها الإنسان جهنم، فإن هذه النار جزء من ستين جزءًا من نار جهنم، كل نار الدنيا الشديدة الحرارة والخفيفة، كلها جزء من ستين جزءًا من نار جهنم، أعاذني الله وإياكم منها.

فجعلها الله تذكرة؛ حتى إن بعض السلف كان إذا هم بمعصية ذهب إلى النار، ووضع إصبعه عليها؛ يعني يقول لنفسه: اذكري هذه الحرارة؛ حتى لا تتجراً نفسك على المعصية التي هي سبب لدخول النار، نسأل الله العافية.

ومن هذا يقول تعالى: ﴿ وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ ﴾ يعني جعلناها متاعًا للمسافرين وغيرهم من المحتاجين إليها، يتمتعون بها، ويستدفئون بها في الشتاء، ويسخنون بها مياههم، ويطبخون عليها أطعمتهم، فهي مصلحة، ولكن قد تكون مُضِرَّةً؛ كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث: «إِنَّ هَذِهِ النَّارَ عَدُوٌّ لَكُمْ»، فهي عدو إذا لم يحسن الإنسان ضبطها وقيدها، وصارت عدوًا إذا فرط فيها أو تعدى، فرط فيها بأن لم يُبعد ما تكون سببًا لاشتغاله، أو تعدى فيها بأن أوقدها حول ما يشتعل

سريعًا، كالبنزين والغاز وما أشبه ذلك، فإنها تكون عدوًا للإنسان.

وفي هذا دليل على أن الإنسان ينبغي له أن يتَّخذ الاحتياط في الأمور التي يخشى شرها، ولهذا أمر الإنسان عند النوم أن يطفىء النار ولا يقول هذه سهلة أنا آمن من ذلك، ربما يظنُّ هذا الظنَّ ولكن يحدث ما لا يخطر على باله.